

<يوم الحشرة>

مندور سحر



(سوسن بو خالد في عرض **ـ يوم الحشرة**) □ (على اللمع

تجلس الممثلة في غرفة، تحتضن غائباً، تثور وتسعى للرحيل وحدها، تشدها حقيبتها إلى أرض المكان، ثم تطمح وتسعى للرحيل برفقته هو، فتطول يده وترتفع حقيبتها عن الأرض، لكن قليلاً ومن دون قطع معها، وتبقى هي ثابتة في المكان.

في عرض سوسن بو خالد في مسرح **ـ حدور الشمس**، أنت العلاقة وطيدة بين مجموعة من الكلمات التي تأخذ حيزاً كبيراً من كلامنا، مثل الوحدة والحب وال الحرب والموت، وبين صور تصيبها في معناها. أداء الممثلة (والمخرجة) وضع تلك العواطف في شكل، وأتى الشكل خانقاً ومحراً في آن، بمعنى أنك تضحي قادراً على لمس ما يخيفك، كل هذا الغياب الروحي في ظل تواجد ذهني وجسدي، وعلى بلوغ ما يشبه النسوة نتيجة تلك القدرة على لمسه. للحظات طويلة، يشعر المرء بأنه ليس جزءاً من جمهور يجلس إلى كرسي مريح يتفرج على عرض متعب، إذ يمكنه أن يشعر، بصرامة، بأنه لا يتفرج بعينيه وإنما بروحه. داخله حاضر على خشبة، لا تدعى سوسن أنها تتحدث **ـ حبسك**، عما **ـ يجول في خاطرك**، فهو اتصال تجبرك على بنائه معها، وتضحي كمن يتبع جلسة علاجه النفسي، تلك التي تسبق البحث عن علاج وتأتي لتسمية الوجع الذي تعاني منه. لذلك، ربما، يشعر المرء ببعض التحرر.

أفكار كثيرة تم نسجها بحيث لا تشعر بأن الممثلة تتطرق لهذه **ـ العنوانين**، وإنما تضعها في إطارها الحياني الطبيعي. مجازر الحرب الجماعية والمقابر التي نعيش فوقها، معنى أن تفقد عزيزاً، معنى أن تعجز عن قطع الاتصال ببيت، بمفقود، لحظة تقرر الرحيل وتعجز عنه، لحظة يصبح الاستيقاظ السعيد طموحاً يستحيل تحقيقه، لماذا لا يسعك أن تترك ماضياً وتنقل نحو حاضر، معنى الحاضر في ظل حضور طاغ للماضي، ادعاء العيش في كنف الموت، رفض الموت وتصويره على أنه حياة، تختلف قليلاً عن تلك التي نعرفها، لكنه حياة وليس موتاً، وما إن تقارنه بما تعرفه حتى يستحيل عليك أن تقبله، ولن تطيل من رفضك هذا، فأنت محكوم برغبة العيش في كنفه، محكم كونك ربما تفتقد كل الأدوات اللازمة لتخطيه.

تقف الممثلة فوق خشبتها، وتکاد لا تتخذ ولو لمرة وضعية الواقف. لا مفر من يد تؤدي دوراً ليس لها، ظهر

دوره ليس عمودياً وإنما بدا ملتوياً، يضم الجسم على نفسه ولا يقوى على فرده، لماذا يفرده وهو لن يجد ما يحاوره مفروداً، فكل ما أعرفه وتعرفه يحتاج إلى ما يحتضنه، يخبوه، يصونه، وذلك كي لا يموت. وأنت، في المسرح، أمام شباب، حتى ولو رغبت بعدم تصوير الأمر بلغة الفنات العمرية. لكنك فعلاً، أمام ممثلة شابة تحدثك باللغة التي وصلت إليها أنت من خلال العيش هنا وهناك، تعيد تقديم ما يُعتبر «إنسانياً جاماً»، لكن تنطق بلغتك، بالخوف الذي يعتريك ولا تكرث لمنه وقتاً كافياً للتواجد معك، أو أمامك. هذا أمر خاص ربما، لكن للحظة، خلال العرض، قد ترى يدك تمتد نحو سني الحرب وما تركته في داخلك كتاب، لتلمسه، بهدوء، ومن دون ضجة كبيرة، تتعرف إليه قليلاً، وقد تعامله ببعض الحنان، من دون تعجرف كثير، ومن دون ادعاء البسط، جبـطـ المـلاـجـيـ». لم تكن تسليـةـ تلكـ التيـ قضـيـتهاـ فيـ المـلـجـاـ معـ اـولـادـ الجـيرـانـ، قدـ تكونـ اـحتـفالـاـ بـحـيـاةـ تـنـموـ قـسـراـ فيـ كـنـفـ الموـتـ، وـقدـ تكونـ وـهـماـ يـنـموـ فيـ ظـلـ اـنـعـادـ إـمـكـانـيـةـ العـيـشـ، قدـ تكونـ الكـثـيرـ غـيرـ ذلكـ، لـكـنهـ حـيـ فيـ دـاخـلـكـ، حتـىـ وـلـوـ اـدـعـىـ العـكـسـ.

والسينوغرافيا (حسين بيضون)، أرض المسرحية. تدخل إلى الصالة لترأها منبسطة أمامك، حدودها عمودية، هي شبه غرفة ينمو فيها العرض. وكلما تقدمت برفقة المعنى، ترتفع من تلك الأرض مادة تلتصق بها، لا تربطك، تلتصق، تشعر بصعوبتها كأنه صمع الحشرات التي يتناولها النص، مواد لزجة كل ما يحيط بك من معان في بلدك، وإن أردت توسيع الدائرة تجد تلك المواد أينما كان، في كل أرض، حيث تكون. فمحور الدائرة أنت. من شكل واضح بسيط، إلى كل هذا الكم من الالتصاق ومن العجز عن الميسـرـ. روابط تتجـهـ منـ الدـاخـلـ جداً إلى خارجـكـ. لـزـجـ، لا تـمـسـكـ، لكنـهـ يـمـسـكـ بـكـ. كـشـبـاكـ العـنـكـبـوتـ، يـحـيـطـ بـكـ، وـالـعـنـكـبـوتـ تـنـسـجـ شـبـاكـهاـ منهـ، أماـ أـنـتـ فـلـسـتـ مـتـأـكـداـ تـامـاـ، هلـ هـذـاـ هوـ نـسـيجـ الـخـاصـ أمـ أـنـكـ تـتـلـقـاهـ، فالـوـجـعـ حـاضـرـ فيـ كـلـ لـحـظـةـ، وـالـوـجـعـ لاـ يـأـتـيـ فـقـطـ مـنـ الـخـارـجـ. أـنـتـ مـسـؤـولـ.

حـيـومـ الـحـشـرـةـ، عـرـضـ أـتـىـ بـعـدـ سـنـةـ كـانـتـ طـوـيـلـةـ جـداـ عـرـفـهـاـ لـبـنـانـ. شـبـابـهـ خـلـالـهـاـ كـانـ مـحـورـ الـخـطـابـ، نـحنـ الشـبـابـ لـنـاـ الـغـدـ، وـحـيـ عـلـىـ الـهـنـافـ، وـحـيـ عـلـىـ الـقـرـارـ، وـهـيـ بـنـاـ نـقاـوـمـ التـدـخـلـ الـأـجـنبـيـ... ضـجـةـ كـبـيرـةـ تـلـفـ الروـحـ، تـشـبـهـ كـثـيرـاـ ضـجـةـ الـحـربـ فـيـ كـبـرـ عـنـاوـينـهـاـ وـغـيـابـ مـعـنـاهـاـ. بـعـدـ هـذـاـ الـعـامـ الطـوـيلـ، وـخـلـالـ الـأـسـبـوعـينـ الـمـاضـيـنـ، شـهـدـتـ بـبـرـوـتـ مـنـ بـيـنـ عـرـوـضـ كـثـيرـةـ عـرـضـيـنـ لـشـابـيـنـ لـبـنـانيـتـيـنـ، الـأـوـلـىـ هـيـ سـوـسـنـ، وـالـثـانـيـةـ هـيـ لـيـنـاـ خـورـيـ، فـيـ مـسـرـحـ الـمـدـيـنـةـ، مـعـ حـكـيـ نـسـوانـ». الـمـقـارـنـةـ بـيـنـهـمـاـ هـيـ ضـرـبـ مـنـ ضـرـوبـ الـظـلـمـ، لـكـنـ، فـلـنـحاـولـ فـيـ نـقـطـةـ وـاحـدةـ. هـنـاكـ، فـيـ حـكـيـ نـسـوانـ» (مسـرـحـيـةـ كـومـيـدـيـةـ، أـقـرـبـ إـلـىـ الشـانـسـونـيـيـهـ)، بـدـتـ الرـغـبةـ فـيـ حـرـقـ التـابـوـ» مـسـيـطـرـةـ حـدـ الـصـرـاخـ الـمـسـتـمـرـ، كـلـ مـاـ أـقـولـهـ عـلـىـ الـخـشـبـةـ، كـلـ كـلـمـةـ، كـلـ حـرـكةـ، كـلـ صـنـعـ لـيـسـلـبـ مـنـ النـاسـ صـرـخـةـ دـهـشـةـ أوـ إـعـجـابـ أوـ خـجلـ. أـنـتـ أـمـامـ «انتـفـاضـةـ النـسـوانـ». فـيـ ذـلـكـ مـاـ يـذـكـرـ بـالـجـرأـةـ الـتـيـ تـغـنـتـ بـهـاـ جـمـاهـيرـ ١٤ـ آـذـارـ، وـبـالـاحـتـفـالـيـةـ ذاتـهاـ، كـمـ عـرـفـ لـلـتوـ أـنـهـ حـامـلـ فـرـكـضـ لـتـسـجـيلـ الـمـولـودـ الـمـنـتـظـرـ فـيـ الـجـامـعـةـ. وـهـذـهـ عـادـةـ تـذـكـرـ بـالـحـربـ كـثـيرـاـ، إـذـ إـنـهـاـ اـمـتدـتـ عـلـىـ ١٥ـ عـامـاـ لـكـنـهاـ لـاـ تـذـكـرـ فـيـ أـكـثـرـ مـنـ كـلـمـةـ مـكـوـنـةـ مـنـ ٣ـ أـحـرـفـ. فـيـ الـمـقـابـلـ، وـفـيـ حـيـومـ الـحـشـرـةـ، يـجـدـ الـمـتـفـرـجـ نـفـسـهـ مـمـسـكاـ بـنـاحـيـةـ مـنـ رـوـحـهـ، يـنـظـرـ إـلـيـهاـ بـأـعـيـنـ فـيـهاـ مـاءـ الـدـمـعـ. لـاـ يـسـعـيـ لـدـفـنـ تـلـكـ الـرـوـحـ تـحـتـ كـمـ هـائـلـ مـنـ الـهـنـافـ وـالـاحـتـفـالـ وـالـجـرأـةـ. لـاـ يـدـعـسـهاـ بـقـدـمـهـ إـلـىـ أـسـفـ كـيـ يـخـفيـهاـ عـلـىـ أـمـلـ بـعـدـهـاـ. وـبـدـلـاـ مـنـ أـنـ يـصـفـقـ لـنـفـسـهـ كـوـنـهـ شـهـدـ عـلـىـ خـرـقـ تـابـوـ، يـرـسـمـ اـبـتسـامـةـ رـضـاـ عـلـىـ وـجـهـهـ وـهـوـ خـارـجـ مـنـ الصـالـةـ كـوـنـهـ تـقـدـمـ خطـوةـ نحوـ الأـسـفـ، أـسـفـ روـحـهـ. لـاـ يـفـورـ كـمـ الـحـلـبـ مـحـتـفـلاـ بـحـرـيـةـ التـعبـيرـ، وـإـنـمـاـ يـبـدـأـ بـتـعـلـمـ أـبـجـديـةـ التـعبـيرـ.

اتـضـحـ، بـعـدـ عـامـ وـنـيـفـ عـلـىـ ضـجـةـ الـأـلـوـانـ، أـنـ كـلـ مـاـ كـانـ، بـقـيـ.. نـتـهـىـ بـالـحـدـيـثـ عـماـ يـجـريـ الـآنـ، وـفـيـ كـلـ آـنـ هـنـاكـ مـاـ يـجـريـ، فـيـ حـيـنـ أـنـ مـاـ نـشـأـنـاـ فـيـهـ يـبـقـيـ مـنـ دـوـنـ نـظـرـةـ تـعـارـفـ تـلـقـيـ نـحـوـهـ، وـنـحـنـ نـكـبـرـ عـلـىـ هـامـشـهـ، فـلـاـ نـشـبـعـ فـعـلـاـ مـنـ الـحـيـاةـ، كـوـنـنـاـ لـاـ نـلـقـطـ رـوـحـنـاـ بـيـنـاـ نـعـيـشـهـاـ وـإـنـمـاـ نـلـقـطـ مـجـمـوعـةـ مـنـ الـعـنـاوـينـ الـعـرـيـضـةـ الـتـيـ

تقترح نفسها بديلاً عن الروح. ما فعلته سوسن بو خالد هو الالتفات قليلاً ناحية الداخل، فالعناوين العريضة تبقى ما دام الإنسان، فيما الروح، وحدها، تميته إن رحلت، وإن انطفأت أيضاً تميته.